

## مهام الهيئة

تنوعت مهام الهيئة منذ اللحظة الأولى لتكوينها، وكانت متسقة مع ما يلقي عليها من أعباء، ودألة على استجابة فعّالة للمستجدات؛ فكانت مهامها على النحو الآتي:

١. تربية الملكات، ومعرفة كيفية استنباط الأحكام من أدلتها، وتحقيق المسائل العلميّة.
٢. الاعتناء بتربية ملكة البحث والمناقشة، وتعويد الطلبة على تمام الاستقلال بالفهم، وأن يؤخذ بهم في طريق تربية القوّى الجدليّة على وجه يعينهم على دفع ما يرد عليهم من الشبه النظريّة، ويمكنهم من تمييز الأدلة اليقينيّة.
٣. التعريف الأوفى بالإسلام والدعوة إليه، والإرشاد إلى أصوله الاعتقاديّة وأحكامه الخلقية والعلمية.
٤. إحباط مساعي الكائدين للإسلام، وحماية المسلمين من تأثيرهم.
٥. العمل على أن يحيا المسلمون حياة إسلامية صحيحة.
٦. معرفة ما يهاجم به التدنُّن عامّة، والدين الإسلامي خاصّة، والرد عليه ردًّا كافيًا مقنعًا، بأسلوب يلائم العصر.
٧. بحث ما يحصل فيه الاختلاف بين علماء العصر - من جهة أنّه بدعة يجب تركها أو ليس كذلك - ووضع الأصول الكفيلة بتمييز ما هو بدعة مما ليس بدعة، والعمل على نشر ذلك كلّه؛ ليرجع إليه الناس وتنقطع به أسباب الفتن والتنازع بين المسلمين.
٨. إصدار الفتاوي في الاستفتاءات التي ترفع من المسلمين وغيرهم في جميع الأقطار إلى مشيخة الجامع الأزهر.

٩. بحث المعاملات التي جددت وتجدد من جهة حكم الشريعة فيها، حتى يظهر للناس سعة صدر هذه الشريعة وقدرتها على تلبية حاجات الناس في مختلف العصور.

ولم تقتصر مهام الهيئة على ذلك فقط، بل شملت العناية بشئون المجتمع كـلِّه، وبحث مشكلاته الخُلقية والاجتماعية والاقتصادية، وبيان موقف الدين الإسلامي حيالها<sup>(١)</sup>.

وطبقاً لقانون رقم (١٠) لسنة ١٩١١م أنشئت الهيئة تحت اسم «هيئة كبار العلماء»، واستقرَّ هذا الاسم حتَّى كان القانون المعروف برقم (٢٦) لسنة ١٩٣٦) الصادر بتاريخ ٣ من المحرم ١٣٥٥هـ / ٢٦ مارس ١٩٣٦م، في عهد مشيخة الشيخ محمد مصطفى المراغي الثانية، وبموجبه أصبحت هيئة كبار العلماء تعرف باسم «جماعة كبار العلماء»؛ حيث تراءى للشيخ المراغي أنَّ كلمة (هيئة) لا تدل على تمام المعنى المقصود مثل دلالة كلمة (جماعة)<sup>(٢)</sup>، والتي تدل على وجود جماعة من البارزين في العلم والتفكير لها نظام معين وامتيازات علمية معينة، وبهذا يكون الاسم مطابقاً للمسمى في اللفظ والمعنى<sup>(٣)</sup>، وفي تغيير اسمها على هذا النحو تأكيد منهم على انتمائها للقديم<sup>(٤)</sup>.

١- الأزهر في ألف عام ٢ / ٢٣٣.

٢- دار الوثائق القومية، محافظ الأزهر الشريف: محفظة ٥٤، ملف ٢، مجلس الأزهر الأعلى، محضر رقم ٦٦، بتاريخ ٢٥، ٢٦ من رجب ١٣٥٤هـ / ٢٤، ٢٣ أكتوبر ١٩٣٥م ص ٢.

٣- السياسة والأزهر، مذكرات الشيخ الظواهري د/ فخر الدين محمد الأحمدى الظواهري ص ٣٤٠، ٣٤٢، وينظر: تطور نظم التعليم في الأزهر ص ٢٢٤، ٢٢٥، وجريدة الأهرام، السنة ٦١، العدد ١٨٢٣٨، بتاريخ ١٩ من جمادى الآخرة ١٣٥٤هـ / ١٧ سبتمبر ١٩٣٥م ص ١١.

٤- مجتمع علماء الأزهر في مصر ١٨٩٥-١٩٦١، ص ٢٢.

وقد كان لأعلام هيئة كبار العلماء قبل وبعد إنشائها دور مهم تجاه القضايا التي تتعلق بالدفاع عن الإسلام وثوابت الدين وهويّة مصر الإسلاميّة والقضايا الوطنيّة والاجتماعيّة والعربيّة، بالإضافة إلى دورهم الرئيس في التعليم العالي الأزهري حتى صدور القانون رقم (١٠٣ لسنة ١٩٦١)، والذي بموجبه تم إلغاء جماعة كبار العلماء والاستعاضة عنها بمجمع البحوث الإسلاميّة، على أن يكون أعضاء جماعة كبار العلماء - حينذاك - مستوفين للشروط الواجب توافرها فيمن ينتخب ضمن مجمع البحوث الإسلاميّة.

### من إسهامات أعلام الهيئة ومواقفهم تجاه قضايا الأمة:

لم يكن أعلام هيئة كبار العلماء بمنأى عن قضايا الأمة وما شهدته من أحداث، ولم تشغلهم جهودهم العلميّة عن أداء دورهم في مختلف مناحي الحياة؛ فمن يطالع سيرهم قبل وأثناء عضويتهم بالهيئة يجد أنهم كانوا عنصراً فاعلاً تجاه تلك القضايا والأحداث، وأنهم كانوا بمنزلة قلب الأمة النابض الذي عاش آمالها وآلامها، وكانت لهم مواقفهم الوطنيّة المشهودّة، وجهودهم البارزة التي أصبح العالم ينتظرها في كلّ محفل علميٍّ أو ثقافيٍّ، أو وطنيٍّ، ولم تقتصر مواقف أعلام هيئة كبار العلماء وجهودهم على القضايا المحليّة فقط، وإنّما شملت قضايا الأمة العربيّة والإسلاميّة، وكان لها أكبر الأثر في كثير من مجالات الحياة، مما يدل على أنّها كانت تكويناً علمياً فعّالاً معاشياً لما يدور من حوله.

وفي عجلة سريعة يمكن أن نطوّف بالقارئ الكريم حول نماذج من إسهامات أعلام الهيئة - قبل وأثناء عضويتهم بها- في مختلف مناحي الحياة وتجاه قضايا الأمة وما شهدته من أحداث على النحو الآتي:

### أعلام الهيئة والدفاع عن الإسلام وتفنيد الشبه المثارة حوله:

كان الدفاع عن الإسلام وتفنيد الشبه المثارة حوله في مقدمة مهام الهيئة وعلى رأس أولويات أعلامها، ومن ذلك ما قام به الشيخ محمد شاكر أثناء توليه مشيخة معهد الإسكندرية، حيث كان يقيم احتفالاً في آخر كلِّ عام دراسي يكرّم فيه الطلاب الفائزين، وفي يوم السبت ٢٢ من رجب سنة ١٣٢٥هـ/ الموافق ٣١ من أغسطس سنة ١٩٠٧م، أقيم هذا الاحتفال في مشيخة علماء الإسكندرية، وكان من الذين حضروا الحفل: حسين فخري باشا القائم برئاسة مجلس الوزراء، ووزير الأشغال العموميّة، ووزير الماليّة، وحاكم (محافظ) مديرية الإسكندرية، ورئيس الديوان العربي الخديوي، ووكيل الأوقاف، وقام الشيخ محمد شاكر فخطب خطبة بليغة جاءت صادقة بالحق، كاشفة للزيف، ناسفة للشبهات في غير هوادة ولا مجاملة، وكان اللورد كرومر قد تعرّض للإسلام، فقام الشيخ محمد شاكر بالواجب في الذبّ عن الإسلام خير قيام، وكان مما قاله في تلك الخطبة الشهيرة: «... ويقولون إنّ هذا الدين يجيز الرق، ويتضمن سنناً وشرائع في علاقات النساء بالرجال تناقض آراء أهالي هذا العصر! نعم إنّ الدين الإسلامي أباح الاسترقاق، كما أباحته كلُّ الشرائع السماوية من قبل، ولكنه سوّى بين الأرقاء وبين الآباء والأمهات في الوصية بالإحسان والرفق والحنان،

ليس يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾<sup>(١)</sup>، أباح الدين الإسلامي استرقاق الأفراد، ولكنه لم يبح استرقاق الشعوب، ولا مصادرة الأمم في مقومات حياتها القوميّة والاجتماعيّة، أمّا علاقات النساء بالرجال، فليس وراء الشريعة الإسلاميّة غاية في عدل ولا مرحمة، ولا في محافظة على الأعراس المصونة، يتطلع إليها أصحاب النفوس الأبيّة<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك - أيضًا - ما قام به الشيخ محمد بخيت المطيعي من تفنيد مفصل لافتراءات الفيلسوف الفرنسي رينان ضد الإسلام، من خلال محاضرة كبرى ألقاها بالجامعة المصريّة يوم السبت ٢١ من شعبان ١٣٤١هـ / ٧ أبريل ١٩٢٣م، ونشرتها جريدة الأهرام في أعداد متتاليّة، وقد ذكرت الجريدة أنّ قاعة الجامعة لم تتسع للحاضرين؛ حيث كان الجمع كبيرًا، حتى إنهم نزلوا إلى فناء الجامعة، واستُخدم كلُّ ما في الجامعة من مقاعد وكراسي، وقد حضرت المحاضرة جماعة من كرام العقيلات المصريّات، حيث جلسن في مكان خاص يستمعن منه، وقد استمرت المحاضرة ساعتين، والناس جالسون في العراء<sup>(٣)</sup>.

١ - النساء: ٣٦.

٢ - من أعلام العصر، كيف عرفت هؤلاء د/ محمد رجب البيومي، ط/ الدار المصريّة اللبنانيّة ١٩٩٦م، ص ١٤، ١٥.

٣ - جريدة الأهرام، الإثنين ٩ أبريل ١٩٢٣م ص ٤١، ونص المحاضرة في هذا العدد ص ٣٧، والخميس ١٢ أبريل ١٩٢٣م ص ٤٩، والجمعة ١٣ أبريل ١٩٢٣م ص ٥٥.

وفي يوم الإثنين ١٦ من رمضان ١٣٧٥هـ نشرت جريدة الأخبار كلمة للشيخ عبد الحميد بخيت عنوانها: «إباحة الفطر في رمضان وشروطه»؛ ولوقوعه في الخطأ الفاحش، والزلل الجسيم، بادرت مشيخة الأزهر بالإنكار عليه، ونبهت المسلمين إلى خطئه، وقررت التحقيق معه، ثم أحالته إلى مجلس التأديب الأعلى، كما هو حقها شرعاً وقانوناً، وقد ناصره فريق من الكُتَّاب من الحقوقيين وغيرهم، وأنكروا على المشيخة محاكمته، ومنهم من احتج بأنه لا كهنوتية في الإسلام، ومنهم من احتج بأن محاكمته تعد حجراً على حرية الفكر، ومنهم من قال إنَّ الدين صلة بين العبد وربّه... إلخ.

وقد انبرى الشيخ عيسى منون للردِّ على هذه الدعاوى الهدامة في رسالة بعنوان (الرد على من يدعون الاجتهاد في هذا الزمان) جاء في آخرها... هذا وتعين علينا تنفيذ حجج من ناصر الشيخ بخيت في رأيه المعروف:

• **أما قولهم:** (لا كهنوتية في الإسلام): فإن أرادوا بالكهنوتية وجود رؤساء دين يحللون، ويحرمون، ويؤثمون، ويعاقبون، ويغفرون، ويعفون بأرائهم وأهوائهم من غير استناد إلى الشريعة، فهؤلاء لا يوجدون في الإسلام قطعاً، وإن أرادوا وجود علماء يعرفون الأحكام التي شرعها الله - عز وجل - وهم مكلفون ببيانها للناس على الوجه الصحيح، ورؤساء هم أولياء أمور المسلمين يحرسون الإسلام من عبث العابثين، ويقيمون الحدود على المخالفين، ويؤدبون المعتدين على الإسلام وأحكامه، فهذا موجود ومشروع في الإسلام، وفقدهم وانقراضهم إيدان بقيام الساعة.

• **أما حرية الرأي والحجر على الأفكار:** فليس مما نحن فيه؛ لأنني لا أظنُّ أن أحداً يعقل أن تعدي الحدود المقررة شرعاً أو قانوناً يدخل في نطاق حرية الرأي، وأن زجر المعتدي وتبيين خطئه داخل نطاق الحجر على الأفكار؛ وإلا لجاز أن يقول كلُّ واحد ما شاء فيما شاء، ولا شك أن هذه هي الفوضى بعينها.

• **وأما القول بأن الدين صلة بين العبد وربّه:** فهو كلمة حق؛ إلا أن هذه الصلة يجب أن تكون كما حددها الربُّ - سبحانه وتعالى - وبينها على لسان نبيه ﷺ **أما الصلة** بغير ذلك فليست صلة، وإنما هي انقطاع وبعد عن الله - تعالى - وتمرد عليه وعصيان؛ لأنه لم يمثل أمره ونهيه في تحديد تلك الصلة، وذلك واضح، والله سبحانه وتعالى أعلم<sup>(١)</sup>.

فلم تتوان هيئة كبار العلماء يوماً عن الردِّ على الباطل، وتفنيده شبه المبطلين، وإحقاق الحق، ونصرة الدين. ولم تكن هذه المواقف وحدها هي ما قدمه أعضاء هيئة كبار العلماء نصرة لدين الله، وحماية لحياض الشريعة، فقد كان جهادهم العلمي والفكري متواصلًا لم ينقطع.

١- من أعلام الخالدين - حياة علم من أعلام الإسلام، الشيخ عيسى منون، عمل يوسف عبد الرازق، ومحمد عيسى منون، ص ١١٧.